تطبيقات المنهج السيميائي على الخطاب الأدبي عند " عبد المالك مرتاض" الخطاب الشعري أ نموذجا-

Applications of the semiotic method to literary discourse according to "Abd al-Malik Murtadha," the poetic discour as a form

حجام إيناس*

جامعة باتنة1 الحاج لخضر (الجزائر)

hadjemines21@gmail.com

تاريخ الإرسال:12-01-2019 تاريخ القبول:31-12-2019

ملخص:

عرف "عبد المالك مرتاض المنهج السيميائي معرفة واعية فكانت مقارباته السيميائية مقاربة خلاقة للنص الأدبي عموما والشعري خصوصا سوء على مستوى الأدوات الإجرائية، أو على مستوى استنطاق النص بالغوص في كوامنه دون الإخلال بالمعاني، فحقق ثورة حقيقية في كيفية تعامل المنهج السيميائي مع الهمل الشعري باعتباره بنية لغوية معرفية جمالية وواجهة نفسية شعورية تتجاذبه أقطاب صوتية تركيبية ودلالية.

الكلمات المفتاحية: منهج، خطاب، سيمياء،أدب، مرتاض.

Summary :

Abdul Malik Mortadah knew the semiotic method with conscious knowledge, so his semiotic approaches were a creative approach to literary text in general and poetic in particular at the level of procedural tools, or at the level of interrogation of the text by diving into its potentials without disturbing the meanings. A linguistic, cognitive, aesthetic, and psychological-emotional interface attracted by syntactic and semantic phonemic poles.

Key words: method, discourse, semiotics, literature, poetry.

* المؤلف المراسل.

مقدمة:

شهدت الساحة النقدية العربية طفرة حقيقية في إطار النقد والساحة العربية ليست بعيدة عن هذه الطفرة ونخص بالذكر الساحة النقدية الجزائرية التي سعت إلى مواكبة الجديد ردحا من الزمن وكان هذا على يد نخبة من أبنائها على رأسهم "**عبد المالك مرتاض**" الذي كان من السباقين إلى تقديم المناهج النقدية الحديثة إلى الساحة الوطنية معتمدا في ذلك على الميراث العربي الأصيل، والمستورد الغربي المستحدث بانيا نظرية نقدية خاصة على المستوى السردي والشعري في ظل المتغيرات المتسارعة التي عرفتها الساحة النقدية العربية عموما والمغاربية خصوصا وكان مرتاض من السباقين لتبني الثورة التي أثارها المنهج السينمائي في دراسة النص الأدبي وعمل على وضع الإرهاصات الأولى للدراسة السيميائية التي تغوص في كوامنه دون حرمانه من جمالياته فتكون عملية إبداعية نقدية واعية.

وتتضح ملامح المنهج السينمائي عند **عبد المالك مرتاض** في حلقتين مهمتين في الساحة الأدبية النقدية، أحدهما يتمثل في كتابة بنية الخطاب **"السردي"** والثاني بنية الخطاب **"الشعري"** حيث تناول فيهما دراسات تطبيقية سينمائية سردية وأخرى شعرية.

أما في السرد فقد بدأ –مرتاض- مشواره النقدي في تحليل الخطاب سيميائيا بكتابة التحليل السيميائي لحكاية **"جمال بغداد"** وهو إحدى حكايات "ألف ليلة وليلة" وذلك من أجل إرساء معالم الدرس السيميائي من جهة والتدليل على حقائق الدراسة السيميائية من جهة ثانية[2]، حيث يقول " إنما نود فقط عرض المنهج الذي سلكناه في هذه الدراسة ودرجنا عليه في تدبيحها وهو وسيط جدا، بحيث حاولنا وضع النص تحت المجهر الأدبي نراه من جميع أنظاره، فبد لنا من هذه الملاحظة المجهرية أنه قادر على أن يفرز لنا سبعة مستويات على الأقل وفي كل مستوى يعطينا مالم يعطينا في المستوى الأخر.[3]

---

[2] الدرس السيميائي المغاربي، دراسة وصفية إحصائية في نموذجي عبد المالك مرتاض ومحمد مفتاح مولاي علي بوخاتم، د.ط، دار ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 2005، ص 69.

[3] ألف ليلة وليلة، تحليل سيميائي لحكاية جمال بغداد، عبد المالك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1993، ص 8..

وهنا يحيلنا مرتاض إلى المنهج المتبع مبرزا المستويات التي توصل إليها بعد إتباعه للمنهج السينمائي.

أما عن معالجة النصوص الشعرية وفق المنهج السيميائي نجد عبد المالك مرتاض لا يؤمن بمنهج واحد متكامل وهذا ما نلمحه خاصة في كتابه **" بنية الخطاب الشعري".**

فمن خلال دراسة لقصيدة **" أشجان يمانية"** التي تمت دراستها وفق خمس مستويات فنص مستويات الدراسة الشعرية مقارنة بنظريتها السردية من سبع مستويات إلى خمس مستويات وكان **المستوى الأول:** قراءة تشاكلية انتقائية لنص "أشجان يمانية" اشتمل ملخصا لمنهجه والدراسات العربية والتراثية مبرزا وجوده عند العرب القدماء أمثال: الجاحظ والدراسات الغربية وهو يزاوج بينهما.[1]

أما المستوى الثاني: فخصصه لدراسة القصيدة قراءة تشاكلية تحت زاوية الإحتياز وقد أثار هنا قضية مفادها أنه: من السداجة بأننا قدرون على تأسيس منهج ما ثم نحمله إلى نص أدبي لنحلله بمقتضى إجراءاته بكفاح ونجاحه، بمعنى بأنه لا يمكن في أي دراسة إتباع منهج معين[2]، وهو هنا يؤكد ما جاء به أولا بأن الدراسة لا يمكن أن تتم بمنهج واحد فلا يوجد الكمال المرغوب بهذا المنهج المختار أو المفروض.

ونتيجة هذه القناعة التي توصل إليها مرتاض غير في أدواته الإجرائية فكل قراءة تختلف عن أخرى فتقسيماته للتشاكل والاختلاف، الحيز والزمن ليست موضة نقدية ضاربة كما يروج البعض، وإنما هي نتيجة الغوص في أعماق النص الذي يحدد للناقد المنهج الذي يتبعه، فإذا اندرجت كل النصوص تحت نص واحد، جاز تناولها بمنهج واحد وبأدوات واحدة وهنا نقف على جوهر قضية مرتاض النقدية أنه لا يمكن لأي ناقد كان أن يقبل على النص محملا مسبقا بمنهج معين أو أدوات معينة، ويطبقها على النص بل عليه أن يقبل أولا على النص ويتركه هو من يختار ويحدد له المنهج الذي يعجز كوامنه وهو ما يفسر قراءته المتعددة التي تقوم كلها: "انطلاقا من الخصائص اللسانية

[1] شعرية القراءة، قصيدة القراءة، عبد المالك مرتاض، ط1، دار المنجد العربي، بيروت، لبنان، 1414 هـ،1994م، ص 5.

[2] المرجع نفسه، ص 33.

والبنيوية والسيميائية التي تتظافر مجتمعة على تشكيلة، لا من قواعد منهجه جاهزة، فجة، تهجم بما عليه وتحشره في غياباتها حشرا أعمى".[1]

وفي المستوى الثالث: تناول "**عبد المالك مرتاض**" النص وفق منظور معالجة " **أنزياحية**" متخذا من مفهوم "الانزياح" إجراء سيميائيا في تحليل القصيدة ثم اعتبره مصطلحا متسربا إلى مصطلحات النقد الحداثي العربي في اللفظ الغربي ECART الذي هو مأخوذ أيضا من فعل SECRATER بمعنى ابتعد.[2]

وتناوله الغربيون باعتباره المروق أو الخروج عن المألوف في نسيج الأسلوب بخرق ما ألفه مستعملي اللغة، فطان الانزياح خرقا للقواعد المعيارية للأسلوب.[3]

تعامل عبد المالك مرتاض مع هذا الإجراء من خلال استناده إلى الآية الكريمة من سورة الفاتحة مصداقا لقوله تعالى: "إياك نعبدو وإياك نستعين" معتبرا أن الكلام في الأية خرج عن مألوف الاستعمال الذي هو في أصل النسج العادي" نعبدك نستعينك" أو نعبد إياك، ونستعين إياك" قبل أن يهتدي إلى قراءة ذات المسألة في نص القصيدة و أوضح مرتاض هذا النموذج من القرآن الكريم من خلال إرساء مفهوم الانزياح.[4]

وبإتباعنا نماذج من القصيدة نجد قول الشاعر " شربت عيني ماء الحزن" وهنا رصد مرتاض جملة من الانزياحات أهمها:

- العين لا تشرب وما ينبغي لها لأن عضو غير مهيأ فيزيولوجيا لهذه الوظيفة، ففعل الشراب مسند إلى فاعله الحقيقي على سبيل الانحراف الأسلوبي الذي يقتضيه النسج الشعري.[5]

---

[1] شعرية القراءة، قصيدة القراءاة، ص 80.

[2] الدرس السينمائي المغاربي، ص 80.

[3] المرجع نفسه، ص 80.

[4] الدرس السيميائي المغاربي، ص 80.

[5] المرجع نفسه، ص 203.

- الحزن لا يكون له ماء ولا نار، ولا أي شئ أخر يضاف إليه وإنما معلول لعله غائبه تتجسد في العلل التي لا تحصى وأسباب لا تعد يفرزها وضع طارئ على موضوع فيقع تحت وطأة هذا المظهر النفسي(الحزن).[1]

المستوى الرابع: قراءة تحت زاوية الحيز.

المستوى الخامس: قراءة سيميائية مركبة وهي التي وقفنا عندها.

كان مرتاض ينشد من هذه الدراسة ترسيم قواعد تنهض بالقراءة السيميائية فقد تناول في المستوى الخامس في قصيدة أسجان يمانية أربع فرعيات سيميائية متلازمة ومتداخلة ومتقاربة مقدما دراسة تطبيقية هي كالتالي:

- (الأيقونة، القرنية، الرمز، الارشاد، بحيث تتضح تطبيقات هذه الفرعيات من خلال وحدة: يتسول في طرقات الصدى، وذلك لتحديد كيفية تعامل الناقد مع مصطلح السعة مبدأ أدواته الإجرائية حيث: يرى أن العلاقة السيميائية الجاثمة في معنى الصدى وهو معنى غني بالدلالات السيميائية حيث صرفه في عدة أوجه.[2]
- المماثلة (الأيقونية): يعد هنا مجرد الصوت حاضر لصوت غائب أو هناك عالما غائبا هو نداء اليمانيين وأصواتهم المرتفعة بغض النظر عن طبيعة هذا النداء ومعناه أن هناك سعة صوتية حاضرة وهي الصدى.
- القرنية: الصوت هو انعكاس صوت صدر نتيجة لحدوث صوت أخر وهو –العلة- فالصدى من هذه الزاوية ما هو إلا صوت الأخر الذي هو أصلا معلول لعلة الصوت الأول الأثلي فلولا الأول لما كان هذا الأخر فعلاقة العلية فيه لا تدفع.[3]
- الرمز: يرمز الشعراء المعاصرون في استعمالهم للصدى إلى اليأس والحنية والضياع، القنوط وفقدان الأمل والضياع والفراغ خاصة.

---

[1] شعرية القصيدة: قصيدة القراءة، ص 139.

[2] بنية الخطاب الشعري: دراسة تسريحية أسجان يمانية، عبد المالك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية –الجزائر، ص 237.

[3] شعرية القصيدة، قصيدة القراءة، ص 245.

ومن هنا يتجلى اهتمام "مرتاض" واجتهاده في تحليل قصيدة " أشجان يمانية" تحليلا جديدا وقراءاة ناضجة وفق الأدوات السيميائية، فكانت ممارسة نقدية حداثية وفق معايير ثابثة وخطى واضحة.

نخلص أخيرا إلى أن مرتاض وفي تطبيقه للمنهج السيميائي رفض فكرة تبني المنهج الواحد وأقر بفكرة المنهج المركب ودعمها كما اتصفت دراساته بالشمولية والتفتح وهذا ما لاحظناه في دراسته لقصيدة أشجان يمانية التي اعتمد فيها خمس مستويات مستقلة مزاوجا بين المناهج النقدية لخلق منهجه الخاص بعد اعترافه بأنه من غير الممكن التقيد بمنهج معين في دراسة النص الأدبي فهذا إجحاف بحق النص الأدبي ويكرس الصور في معرفة كوامنه.

قائمة المصادروالمراجع:

القرآن الكريم:

1. عبد المالك مرتاض، (1993.)ألف ليلة وليلة، تحليل سيميائي لحكاية جمال بغداد، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،
2. عبد المالك مرتاض، بنية الخطاب الشعري: دراسة تسريحية أسجان يمانية، ديوان المطبوعات الجامعية –الجزائر،
3. عبد المالك مرتاض ومحمد مفتاح مولاي علي بوخاتم،(2005) الدرس السيميائي المغاربي، دراسة وصفية إحصائية في نموذجي ، د.ط، دار ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،
4. عبد المالك مرتاض،(1994م) ، شعرية القراءةقصيدة القراءة، ط1، دار المنجد العربي، بيروت، لبنان، 1414 ه،.